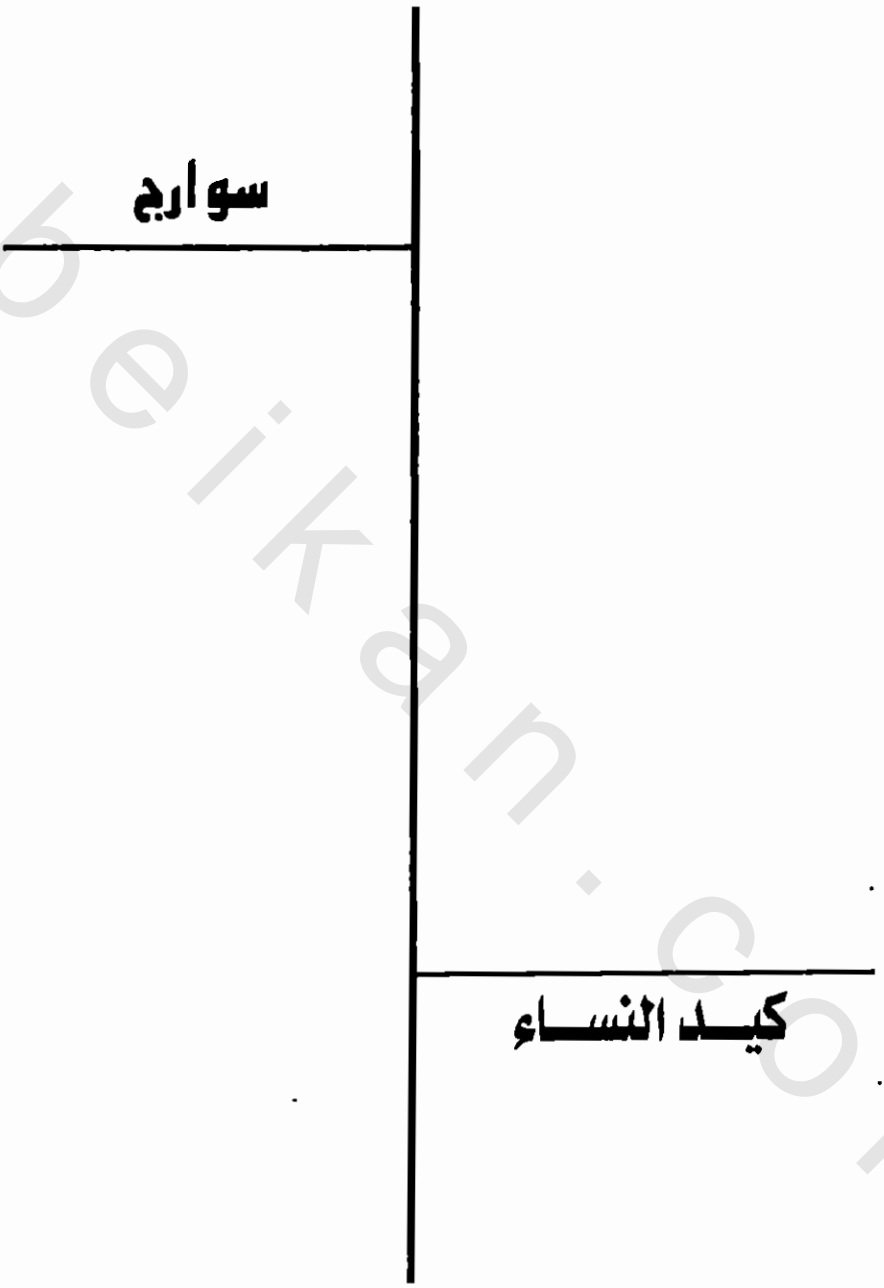

obeikan.com

obeikan.com

سوارج

ابنة ملك السند

شاهد المقاتلون السند إلههم المقدس وهو ينهار أمامهم بضربات المنجنيق الضخم الذي يديره خمسمائة رجل من المسلمين أثناء الرمى بعد حصار السند التي انهزم فيها من قبل ثلاثة من القادة ، وكان سقوط صنمهم فأل شؤم بالنسبة لهم وخرجوا مندفعين من داخل المعبد يقاتلون قتال اليائس وانطلقت سوارج ابنة ملك السند تستحث الجنود للدفاع عن أرضهم أمام ستة آلاف مقاتل مسلم على رأسهم محمد بن القاسم ، ومُنى السند بهزيمة مخزية وفر جنودهم ولكن صوت "جاى سنج" ابن الملك انطلق مرة أخرى يطلب من الجنود عدم الانسحاب وقتال المسلمين دون جدوى ، فقد فر الجنود إلى الحصن وأغلقوا الأبواب خلفهم ليحتموا به .

أمر محمد بن القاسم أن تنصب السلالم لتسلق الأسوار ومواصلة الهجوم وكان أول الصاعدين مقتديا بالزبير بن العوام الذي تسلق "حصن بابليون" .

على نهر "مهران" كان يجلس ملك السند حين ذهب إليه ابنه وابنته يخبرانه بنتائج القتال فسخر منهما وقال لابنته:

– أيتها البلهاء أتخشين جيش المسلمين الحفاة ، إنهم قرابين .

وتستحث أميرة السند أباها الذي ينتظر جيش المسلمين على رأس جيشه وراء النهر ، وتشارك سوارج وأخوها في القتال ، ويحاول أخوها إبعادها عن المعركة لكنها تصر على القتال وتقسم أن تقتل قائد المسلمين محمد بن القاسم وتندفع ناحيته رافعة سيفها تهاجمه وهي تصرخ:

- أنت إذن ابن القاسم لا نجاة إن نجوت . الآن خذ وأنا أميرة السند ويمسك بها ابن ثعلبة من الخلف فيسقط سيفها وينظر إليها ابن القاسم وهو يخفض سيفه قائلا:

- امرأة . . خذى سيفك وانصرفى ليس هنا مواطن النساء لكنها تصرخ فيه بتحد .

- أقسمت أن أقتلك ، وسأفعل .

ويأمر القائد بعض جنوده بأخذها إلى خلف المعسكر ويوصيهم ألا يؤذيها أحد .

ويموت الملك في المعركة على يد ابن ثعلبة بعد أن يعرض عليه الإسلام قبل مبارزته وتمضى الشهور وابن القاسم يواصل تقدمه في بلاد السند لتطهيرها من الأوثان ويقيم العدل بين الناس حتى اجتمع حوله الناس "أهل البلاد" ، وذات يوم كان ابن القاسم يجلس في مقر إقامته وحوله جمع من رجاله بينهم ابن ثعلبة ينظر في الشكاوى ويمنح الأعطيات لمن يستحقها ، فدخلت عليه "سوارج" يقودها جندى مسلم حتى توقفت أمام القائد الذي راح يتأملها في إعجاب لكنه كان متظاهرا بالانشغال عنها بالحديث مع ابن ثعلبة ثم التفت إليها:

- ألست الفتاة التي حاولت قتلى في المعركة ، ومع ذلك فأنا معجب بشجاعتك وتصميمك ، فمن تكونين؟

فردت "سوارج" في تحد:

- أنا ابنة ملك قتلتموه ورويتم بدمع الزكى أرض أجداده .

فقال ابن القاسم في هدوء محاولا تهدئة روعها:

- ما عليك يا أخت . . هي الحرب .

فردت عليه في حدة:

– لكنكم ما رعيتم حرمة الحرب ، أسرتمونا لتلقوا بنا إلى التهلكة وتثلموا منا الشرف .

ويعدها ابن القاسم . . أن تبقى إلى جواره ولا يمسها أحد بسوء شريطة أن تحفظ العهد .

ومضت "سوارج" إلى غرفتها آمنة لا يسئ إليها أحد كما أمر ابن القاسم ، وكان كلما لقيها في دار الإمارة هون عليها ، لكنها كانت تتظاهر بحفظ العهد بينما هي في داخلها تدبر أمرا لقهر المسلمين والقضاء عليهم ، ففى أحد الأيام بينما ابن القاسم يحاول التخفيف عنها ، وهو ما لاحظه ابن ثعلبة وهشام ويخشون عليه منها ومما قد تدبره من مكر أو كيد وهو ما حدث بالفعل ، فقد كانت الأميرة السمراء الجميلة تظهر الود والمحبة للقائد العربى وتشعل نار الحب في قلبه لتنال غرضها وتثأر لأبيها وتخرجهم من بلادها .

عزم هشام وابن ثعلبة على مراقبة أميرة السند عن قرب حتى يتأكدوا من شكوكهم ولاحظوا أنها تخرج من القصر قبل حلول الظلام ثم تتلفت حولها في اضطراب قبل أن تتسلل بين الأشجار وتقف عند شجرة تقطف منها بعض الأزهار ثم تعود متسللة إلى القصر ، فانتظروا بالقرب من تلك الشجرة في اليوم التالى فرأوها تضع فيها لفافة أخرجتها من بين طيات ملابسها قبل أن تسرع الخطو في طريق العودة ، فانتظروا بعض الوقت لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك ، فرأوا فتى في زى حدائقى يقترب من الشجرة ويلتقط اللفافة ويمضى سريعا ، فلحقوا به وأمسكوه فإذا به "جاى سنج" أخوها فقبضوا عليه .

وكانت أخته دونت في اللفافة كل تحركات ابن القاسم وأعداد الرجال والمجانيق وتذكير أخاها بشرطها ألا يقتل ابن القاسم ، وهكذا انكشف سر الأميرة الجاسوسة وانكشفت مكيدتها قبل أن تحقق أهدافها .

عـزل الخلـيفة سـليمان واليه ابن القاسم وعين واليا آخر على السند وذهـب الـوالى الجديـد ومـع صالح بن عبد الرحمن الذي كان مكلفا أن يـسوق ابـن القاسـم في أثقـال الحديد إلى السجن ويأتى به إلى دمشق ولم يقـصر صـالح بـن عـبد الرحمن الذي كان يحقد على الحجاج بن يوسف الثقفـى وكـل من يمت إليه بصلة ، فحبس ابن القاسم وأذاقه كل صنوف العـذاب وراح يـبحث له عن تهمة يلصقها به وجاءته الفرصة في وجود الأسـيرة "سـوارج" ابنة ملك السند التي كانت تنزل أسيرة في دار صديقه ابـن صـفوان ، فانطلـق إليها ودبر للقائها ليتآمرا معها ويصل من خلالها إلى مآربه واتفق معها أن تشهد أمام الخليفة أن ابن القاسم لم يرع حرمتها ولم يـصن عرضـها وأرسـل صـالحا بالأمـر إلى الخليفة وقتل ابن القاسم لكنه لم يعد الأميرة إلى بلادها كما وعدها .

وفـى يـوم المظـالم دخلـت الأميرة السندية "سوارج" إلى الخليفة وإلى جواره الشيخ صفوان وتحدثت إليه في ذلة ومسكنة وقالت:

– وحقك يا مولاى ما أخذت حقى حتى اليوم .

وسألها الخليفة في استغراب عن حقها فقالت:

– إن صالح بن عبد الرحمن وعدنى بعتقى وردني إلى بلدي ووفيت وما وفى .

فمال صفوان على الخليفة وأخبره أنها تعنى بحديثها ابن القاسم .

فقال سليمان بغضب:

– قد مضى بجرمه وفجوره وحق عليه القتل .

وقال صفوان:

– لم يـصن طهـرك وعفـتك وخـان أمانـة العـرب ، فقـتله ابن عبد الرحمن بأمر الخليفة .

وصرخت "سوارج" وهي تلقى بنفسها تحت قدمى الخليفة:

– هي فرية يا مولاى اختلقها صالح بن عبد الرحمن على ابن القاسم واشتركت معه فيها من أجل عتقى وردى إلى بلادى وهو منها برئ .

ونهض الخليفة مغضبا:

– يا خائنة . . تخرج كلمة من فم الخليفة مأخوذة بفرية تفترينها ويتكلم الناس عن قتل ابن القاسم بالظلم والعدوان والإفك والبهتان .

فهتفت الفتاة في ذعر:

– وحقك ما قصدتها بل دفعنى إليها صالح بن عبد الرحمن .

فصاح الخليفة غاضبا:

يا سياف . . اقتل هذه الأفعى ، ثم اذهب من فورك إلى البصرة واقطع رأس الزنيم ابن عبد الرحمن . . الذي حرك الأفعى وكذب على أمير المؤمنين .

* * *